المحاضرة الثالثة فلسفة التاريخ

نظريات فلسفة التاريخ:

1-نظرية العصبية في بناء الدول لابن خلدون.

التعريف بابن خلدون:

عبد الرحمان ابن خلدون مؤرخ ومُنشئ علم "العمران البشري".

ولد ابن خلدون سنة 1332م في تونس، وتلقى تعليمه في العلوم الدينية واللغوية والفلسفية...تنقل في عدة بلدان كالمغرب الأوسط، والأقصى، والأندلس، والحجاز، ومصر.

تقلد خلال حياته عدة مناصب إدارية وسياسية مثل الحجابة والوزارة والقضاء.

توفي ابن خلدون سنة 1406م.

خلف ابن خلدون تراثا علميا مهما اهمه كتابه في التاريخ المُعنون ب:

العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

لكن أكثر كتبه شهرة هو:

المقدمة

تطرق ابن خلدون في المقدمة إلى قراءة جديدة للتاريخ بعيدة عن الطريقة المعتادة إلى زمنه والتي تركز على تسجيل الأحداث حسب تاريخ وقوعها، وعدم استخدام العقل في محاولة التأكد من صحتها، وكذلك التركيز على الوقائع السياسية والعسكرية من دون محاولة فهمها في سياقها الاجتماعي.

كان هذا التوجه جديد في زمن ابن خلدون، ولهذا يُعد جهدا تجديديا في المعرفة التاريخية وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون في مقدمته:

"...فأنشئت في التاريخ كتابا، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاجا، وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار...وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار، ومن سلف لهم من الملوك والأنصار". ص 6

ثم يُضيف واصفا كتابه:

" ...وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا، واخترعت من بين المناحي مذهبا عجيبا، وطريقة مُبتدعة وأسلوبا، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يُمتلك بعلل الكوائن وأسبابها، ويُعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك "ص 6

وقد عد الكثير من الدارسين أن ابن خلدون هو أول من وضع أسس فلسفة التاريخ وقواعدها، وإن لم يستخدم مصطلح " فلسفة التاريخ".

نظرية العصبية وقيام الدول

ركز ابن خلدون كثيرا في المقدمة على محاولة فهم كيفية قيام الدول في التاريخ، ومن أفكاره في هذا الشأن:

- أن الدولة مثل الكائن الحي يُولد ويقوى ويموت، أي أن للدول عمرا، يبدأ ثم ينمو ويشتد ثم يهرم ويموت.
- أن الدولة تمر في نموها بأربعة مراحل: مرحلة القيام بالغلبة والتمكن، ثم مرحلة الانفراد بالسلطة، ثم مرحلة قطف ثمرة التملك بالتحصيل والاستقرار، وأخيرا مرحلة الضعف والهرم والموت.

- أن الدولة تقوم على قوة العصبية من خلال القبائل والعشائر المتآزرة الساعية في مجموعها لنيل الملك، وأن أكثر ما تكون العصبية بين البدو، وتزداد هذه العصبية قوة إذا اقترنت بالدين.
- لكن هذه العصبية تضعف إذا تطرق إليها الاستغراق في نعيم الدولة وملذاتها، وشيوع سلوكيات الخضوع والانقياد، وهو ما يوهن الدولة ويؤدي إلى تفككها.

ونفهم من هذا أن ابن خلدون يربط قيام والدول وضعفها ثم انهيارها بدرجة تماسك العصبية أي ذلك التشكيل الاجتماعي المترابط الذي يمثل قاعدة الدولة .